تاريخ الفلسفة
هيوم عن الدين والأخلاق 48
بقلم الدكتور آرثر هولمز من كلية ويتون

دعوني أبدأ بالإشارة إلى أن أهم أعماله التي تتناول الشؤون الدينية هي "حوارات في الدين الطبيعي "و"تاريخ طبيعي للدين ."تدور هذه الحوارات في جوهرها حول اللاهوت الطبيعي، ومدى صحة الحجج الكلاسيكية المؤيدة لوجود الله، سواءً من الناحية الأنطولوجية أو الكونية أو الغائية .وقد صِيغت هذه الأعمال على شكل حوار بين ثلاث شخصيات تمثل، بطبيعة الحال، ثلاث مواقف مختلفة :إحداها متشككة إلى حد ما، والأخرى أقرب إلى فكر لوك، والثالثة أقرب إلى فكر المتصوف الأفلاطوني.

وبالتالي، ينتج عن ذلك نقاش حادّ .لا أرغب في الخوض في تفاصيل الحجة .هناك بعض التعليقات عليها في كتاب ستامبف، ويمكنك استكشافها بشكل أوسع إذا رغبت في ذلك في كتاب كوبلستون .

أعتقد أنه من الضروري التأكيد على أن هذا نقد شامل لمزاعم اللاهوت الطبيعي، نقد للحجج بحد ذاتها .ولا توجد أي اعتراضات لاهوتية على اتباع هذا النهج .المشكلة تكمن في أن الحجج لا تجدي نفعاً.

لا تؤدي المقدمات منطقيًا إلى النتائج .ومنذ عهد هيوم وحتى يومنا هذا، أعتقد أنه من الإنصاف القول إن هناك تيارًا سائدًا في فلسفة الدين يتفق مع هذا الزعم، وهو أن الحجج ليست كاملة أو قاطعة أو واضحة بما يكفي لإثبات وجود سبب أول، أو مصمم عاقل، أو خير مطلق، وما إلى ذلك .وهذا لا يعني أن الحجج عديمة الجدوى تمامًا.

في الواقع، يعترف هيوم نفسه، في القسم الأخير من الحوارات، بأن لها وزنًا كبيرًا، ويبدو أنه يميل إلى الموافقة على موقف كليانثيس .وذلك بسبب نوع الانطباع، والانطباع هنا هو المعنى التقني لهيوم، بسبب الانطباع بأن نظام الطبيعة ، وإمكانية التنبؤ، وما إلى ذلك، يؤثر علينا .لذلك، من وجهة نظر عقلانية ومنطقية، ورغم أن القضية ليست واضحة تماماً، أو مكتملة منطقياً، ولم يتم إثباتها، فليس لدينا معرفة دليلية بالله، كما قال لوك، إلا أنه يبدو أن هناك شيئاً ما قد يثير الإيمان.

،تتناول الحوارات الآن منطق الاعتقاد، بينما يهتم التاريخ الطبيعي للدين بسيكولوجية الاعتقاد .وإذا شئت ،"يمكنك أن ترى العلاقة بين هذين الجانبين كما وردت في القسم الأول من كتاب "بحث في الفهم البشري حيث يميز بين الفلسفة المجردة، بمحاولتها تقديم براهين منطقية، والفلسفة العملية، أي تلك الأمور التي يعيش الناس وفقها.

وهو يقصد أن يُمثَّل هذا بالتمييز بين الحجج المنطقية للاهوت الطبيعي والأساس النفسي للاعتقاد، وهو ما يُفصِّله في مسألة التاريخ الطبيعي .وكما في القسم الأول من البحث، يقول إن ما نحتاجه حقًا هو مزيج من الاثنين، وهكذا يبدو أنه يقول فيما يتعلق بـ الأمور ديني .لاحظ ما قلته عن خاتمة الحوارات.

إنهم يتعاملون مع منطق الحجة، لكن في النهاية، يبدو أنه يستند إلى سيكولوجية الاعتقاد، كما ترى .يساعدك المنطق نوعًا ما على توضيح موقفك، مع أن الإكراه النفسي المتضمن في الاعتقاد لا ينبع من المنطق، بل من مصدر آخر.

إذن، يتناول التاريخ الطبيعي للدين العوامل النفسية التي تُسهم في تكوين المعتقد .وهو يرى أن التوحيد تطور تاريخيًا من تعدد الآلهة، أي أن الإيمان بإله واحد نشأ من إيمان سابق بآلهة متعددة .وأعتقد أن ذلك يعود إلى سهولة تفسيره لتعدد الآلهة.

من ناحية التطور النفسي الطبيعي .ففي نهاية المطاف، كبشر، لدينا العديد من الاهتمامات المشتركة في حياتنا .فنحن نحتاج إلى الطعام.

نحن بحاجة إلى الطعام .نحن بحاجة إلى نوع من الأمن والسلام، وما إلى ذلك .حتى نتمتع بمجموعة متنوعة من المشاعر والأبعاد والمجالات في حياتنا العاطفية.

وهناك جوانب من تجربتنا في عالم الطبيعة من المرجح أن تترك انطباعات، انطباعات عاطفية .انطباعات تُولّد فكرة وجود سبب، أو كائن، يقوم بهذا .وهكذا تنشأ مجموعة متنوعة من هذه الاهتمامات، وهذه الانطباعات، ومجموعة متنوعة من الآلهة.

إنّ تعدد الآلهة تطور نفسي طبيعي .أما التوحيد فلا يتطور إلا عندما يتدخل العقل والتأمل .ويبدو أن التأمل في تعدد الآلهة وما شابه ذلك يثير بعض التساؤلات التي لم تُجب عليها، وربما بعض المشكلات.

لأننا ندرك، من خلال التأمل، أن للطبيعة وحدة منظمة .ومن خلال التأمل، ندرك ذلك .وهكذا نصل إلى الاعتقاد بوجود قوة واحدة وراء هذه الوحدة المنظمة.

كما تعلم، هذا هو نمط التفكير الذي سلكه فلاسفة ما قبل سقراط في الميتافيزيقا .لماذا يوجد غاية واحدة بدلًا من غايات متعددة؟ لذا يرى هيوم في الحوارات، من جهة أخرى، أن الحجة الغائية تتناول الوحدة المنظمة للأشياء .أما الرد الذي يقدمه هيوم من خلال إحدى الشخصيات الأخرى، فهو أن مفهومنا للوحدة هو ما يُطرح.

كيف لنا أن نعرف بوجود تلك الوحدة الحقيقية؟ نحن من نجمع الأفكار البسيطة المختلفة لنكوّن الفكرة المركبة، فنحصل على عالم موحد، كما ترى .ولكن بينما لا يمكنك إثبات وحدة العالم المنظمة منطقيًا، فأنت تعرف فقط وحدة فكرتك المنظمة عن العالم .الأفكار المركبة ليست هي الأفكار الأصلية.

مع أن هذا صحيح، إلا أن التأمل في ذلك، من الناحية النفسية، يُبعدنا عن ذلك التطور التاريخي، وبالتالي يُبعدنا عنه .ويرى أن التوحيد مجرد مفهوم عقلاني، وفكرة تأملية، عن دين طبيعي نابع من اللاهوت الطبيعي.

بهذا المعنى، لن يؤثر التوحيد على الخيال ولن يُنتج تلك الانطباعات والمشاعر، وبالتالي من المرجح أن يفسح التوحيد المجال لنوع من أنواع الشرك .تاريخيًا، كيف ظهر الشرك بعد التوحيد؟ حسنًا، هو يُشير إلى أن المسار النفسي سيقود إلى ذلك بشكل طبيعي .أعتقد أن ما لدينا في الواقع هو التوحيد في مراحله الأولى وهو يفقد حيويته، مما يُؤدي إلى ظهور ما أُسميه الشرك العلماني.

بمعنى آخر، مجتمع علماني له آلهته .إله المال، إله الجنس، إله السلطة، كما ترى .هذا النوع من الأمور، فقدان أي رؤية عالمية موحدة.

لكن في التاريخ، الحقيقة هي أنه بينما لا يستطيع الدين الطبيعي أن يُفعّل الحياة لفترة طويلة، فإن المطلوب هو وجود سرد تاريخي عن ذلك الإله الواحد الفاعل في التاريخ .هذا ما يقوله هيوم .ومن الواضح أنه يشير إلى الرواية المسيحية عن الله الفاعل في التاريخ والتجسد.

إذن، يرى هيوم أن المعتقد الديني ينشأ من أحداثٍ تقع في التجربة الإنسانية عبر التاريخ، وفي تجربة كل فرد، وتثير مشاعر وانطباعات تُفضي إلى أفكارٍ حول سبب ما يحدث .أي أنه يقدم تفسيراً نفسياً للمعتقد الديني. وفي خضم ذلك، يُقدّم هيوم إسهاماً هاماً لتاريخ الفكر، ولتاريخ الأديان الذي يُعنى به منذ مئتي عام.

.بمعنى آخر، يكمن الهدف في إعادة بناء الحجج الإلهية الصحيحة فعلاً .محاولة إعادة بناء الحجج الإلهية
.نقاش حول نوع الإله الذي تشير إليه اللاهوت الطبيعي

إن مشكلة الشر أصبحت أكثر تعقيدًا مما كانت عليه سابقًا .فإحدى اعتراضات هيوم على الحجة الغائية، التي تستند إلى فكرة الغاية المنظمة للطبيعة، هي أن الشر يمثل غيابًا للغائية، أو انعدامًا للنظام، أو على الأقل غيابًا
.لغاية واضحة .وهكذا، أصبحت مشكلة الشر أكثر بروزًا

العلاقة بين العقل والعاطفة في الدين .سؤالٌ بالغ الأهمية بلا شك .ويشمل ذلك مسألة القيمة الدليلية
.للتجربة الدينية

الاستدلال من التجربة الدينية .ثم أخيرًا، مسألة العلاقة بين الدين والأخلاق .لأنه يجادل بأن الدين يميل إلى
.صرف انتباه الناس عن القضايا الأخلاقية والاجتماعية

،إن النتائج الأخلاقية للمعتقدات الدينية ليست متجانسة على الإطلاق .هو لا ينفي وجود نتائج أخلاقية
لكنها ليست متجانسة بما يكفي .وقد أدى هذا النوع من التساؤلات إلى محاولات لتقديم حجج أخلاقية
.لإثبات وجود الله

حججٌ تُقدّم في سياق الأخلاق تجاه وجود الله .لذا، فإنّ المنهج الذي تتناوله في مقرر فلسفة الدين، في
جوهره، منهجٌ مستوحى من حوارات هيوم .والخلاصة أنّ الكثير من هذه الأفكار كان يُعتبر من المسلّمات التي
.تناولتها التقاليد المدرسية

.حفز هيوم التطورات الجديدة في فلسفة الدين .ولكن لا تكتفِ بذكر هيوم فقط، بل اذكر هيوم وكانط معاً

كما سنرى في الأسبوعين أو الثلاثة أسابيع القادمة .فبحلول الوقت الذي ينتهي فيه كانط من نقده للعقل
الخالص، يكون قد قدم هو الآخر نقدًا لاذعًا للبراهين العقلانية، أي البراهين المنطقية على وجود الله .وهو
.أيضًا يرى أن الاعتقاد الديني قائم على شيء آخر غير البراهين المنطقية

وبحلول الوقت الذي ينتهي فيه من كتاباته في الأخلاق، يكون قد قدم لنا حجة أخلاقية لوجود الله .وبحلول
الوقت الذي ينتهي فيه من كتاباته في علم الجمال وجمال الطبيعة، يكون قد قدم لنا حجة جمالية لوجود
.الله، ولكن ليس براهين منطقية .ما يقدمه هو شيء أقل من البرهان

،باختصار، يقول إن السبيل الوحيد لتفسير الظواهر الأخلاقية والجمالية هو افتراض وجود الله .بعبارة أخرى
أنت بحاجة إلى الإيمان بالله ونظرة كونية إلهية لتقديم تفسير وافٍ للتجربة الأخلاقية والجمالية .لكننا سنرى
.ذلك عند تناولنا لإيمانويل كانط

دعني أتوقف هنا لأرى إن كانت هناك نقاط في هذا الموضوع تودّ مناقشتها قليلاً .أجل يا تروي، كنت أتساءل
.عندما قلتَ إن التوحيد يتطور إلى تعدد الآلهة

هل كان ينظر إلى المسيحية تاريخيًا ويقول إنها انتقلت من التوحيد اليهودي الصارم ؟ إلى التثليث كشكل من
أشكال تعدد الآلهة؟ أجل، وربما تطور الأيقونات والقديسين .أم كان الأمر نفسيًا بحتًا؟ أجل، كما تعلم، عليّ
.أن أتأكد من النص للتأكد

لا أتذكر وجود ذلك فيه .لذا، لو كنت سأجيب ارتجالاً، لقلت لا، فهذا مجرد استقراء من تفسيره النفسي .لنشأة الوثنية أولاً .لكن دعني أراجع النص وأعود إليك

.كنتُ أنوي إعادة قراءته صباح الاثنين على أي حال لغرض آخر .ومع ذلك، اسمحوا لي أن أضيف هذا الأمر .عندما تصلون إلى هيغل، الذي هو بالتأكيد ليس تجريبيًا مثل هيوم

تختلف أجندته اختلافاً شاسعاً عن أجندة هيوم .يرى هيغل جدلية تاريخية فاعلة في تاريخ الأديان، تقوم على .أساس الأطروحة، ونقيضها، والتركيب

،حيثما تكون الأطروحة هي تعدد الآلهة، يكون نقيضها وحدة الوجود، أما التركيب، وهو أسمى أشكال الحقيقة فهو التثليث .نعم، جزء من ذلك، لكن الثالوث، ثلاثة في واحد، واحد في ثلاثة .لذا فإن مسألة التطور التاريخي .للدين محصورةٌ في هذه الفترة العامة، أواخر القرن الثامن عشر، أوائل القرن التاسع عشر، حوالي عام ١٨٠٠

وأعتقد أن لهيوم دورًا هامًا في تحفيز البحث في تاريخ الأديان، الذي لم يكن محل اهتمام سابقًا .لم يكن . التاريخ عمومًا محل اهتمام قبل حوالي عام 1800 .إنه مجرد جزء مما يُسمى الأدب الراقي

بدأ المنهج التاريخي كعلم بالتطور حوالي عام ١٨٠٠ .في الواقع، كتب هيوم نفسه تاريخًا لإنجلترا، يُقال إنه يتضمن مناهج تاريخية، وبفضل ذلك يُمكن اعتبار هيوم أحد أوائل المفكرين التاريخيين العظام .بدايات .التاريخ كعلم

.حسنًا، لا بأس .الآن، شخص آخر .ديفيد

أليس هناك قسمٌ ينص على أنه حتى وإن لم نتمكن من معرفة العلاقات السببية على وجه اليقين، فإنه لا يزال ،بإمكاننا استنتاج أمورٍ عن طبيعة الله، لأننا عندما ننظر إلى أمورٍ أخرى في تجربتنا، نرى ذلك بالقياس؟ أجل .أعتقد أن هذا موجودٌ في القسم المسمى "عن العناية الإلهية الخاصة"، وهو قسمٌ يتحدث عن الله

أجل، وأعتقد أن هذا هو نفس نمط التفكير الذي نجده في الحوارات .الآن، عندما يقول "استنتاج"، فهو لا يقصد "إثبات منطقي ."في الواقع، في وقت سابق عندما كان يتحدث عن حقيقة أننا نختبر اقترانات متكررة .ونستنتج بطريقة أو بأخرى وجود صلة ضرورية

وقد صرّح بالفعل بأنه لا توجد خطوة منطقية في الأمر .وهو يستخدم كلمة "استنتاج "لهذا الانتقال .ويبدو .أن كلمة "استنتاج "في تلك السياقات تعني خطوة يتخذها العقل، والتي قد لا تكون خطوة منطقية

أعتقد أن هذا هو الحال في مسألة العناية الإلهية الخاصة .عندما تقول إن الناس، بعد البشرية، في فلسفة .الدين، عندما تقول إنهم يتعاملون مع قضايا عميقة، يحاولون إرساء اليقين في هذه الحجج؟ الأمر يختلف .فهناك من يحاولون تقديم يقينٍ مُبرهن، كما يسميه لوك

وبشكل أعم، يستند هذا التوجه إلى الاحتمالية، مما يضعهم في خانة أصحاب نظرية الأدلة .فالاحتمالية هي .قوة الأدلة، ويعتمد الكثير على المنهج المعرفي الذي يستندون إليه

ستقرأون الأسبوع المقبل عن توماس ريد، الكاتب الواقعي الاسكتلندي .يرفض ريد رفضاً قاطعاً نظرية الأفكار .والانطباعات، وينكر تماماً مفهوم المعرفة التمثيلية

لدينا إدراك مباشر للأجسام المادية .أترى ؟ وهذا يعني أنك لا تجادل انطلاقاً من فكرة الكون المنظم، بل .تجادل انطلاقاً من كون منظم

أترى ؟ وبالتالي، يمكنه أن يكون أكثر تفاؤلاً بشأن نتائج ذلك .صحيح أن ريد ألقى بعض المحاضرات في اللاهوت الطبيعي، إلا أنه لم يُكرّس الكثير من وقته لهذا المجال .لكن هذا التقليد الواقعي الاسكتلندي أثّر في .كثير من الذين عملوا فيه

كان هناك عالم لاهوت اسكتلندي يُدعى روبرت فلينت في القرن التاسع عشر، وكان له تأثير كبير .وقد .استُخدم كتابه "التوحيد "على نطاق واسع حتى قبل خمسين عامًا .يمكنك الاطلاع عليه في المكتبة إن شئت

أما عالم اللاهوت في جامعة برينستون، تشارلز هودج، فلا تزال لاهوته المنهجية تُدرس منذ حوالي ستينيات القرن التاسع عشر .الإطار الفلسفي الذي يعمل وفقه هو الواقعية الاسكتلندية .ولذا، وكما هو متوقع من واقعي اسكتلندي، فهو أكثر إيجابية بكثير تجاه الحجج الإلهية من شخص يتبنى نظرية جون لوك أو نظرية .ديفيد هيوم في المُثُل

يعتقدون أن لديهم يقينيات مسبقة .لذا، يختلف الأمر باختلاف هذا التقليد .وأعتقد أن التقليد الواقعي الاسكتلندي، الذي ربما يمثله تشارلز هودج، وغيره ممن قدموا إلى أمريكا، هو الذي شكّل الخطاب الإنجيلي .الأمريكي الموجه نحو الحجج الإلهية لإثبات وجود الله

توجد الآن أنواع أخرى من التقاليد والدفاعيات الأمريكية .لكن هذا النوع نشأ كرد فعل من جانب الواقعيين الاسكتلنديين ضد هيوم .ولعل بعضكم يعلم أن مارك نول، في قسم التاريخ، قد أجرى بحوثًا تاريخية ونشر .العديد من الدراسات حول تأثير الواقعية الاسكتلندية على الحركة الإنجيلية الأمريكية

لديه مقالات كثيرة .لست متأكدًا إن كان لديه كتابٌ كاملٌ حول هذا الموضوع، لكن لديه أجزاءً من كتبٍ .تتناوله .لذا، إذا عملتَ مع مارك نول، فستتعرف على شيءٍ من هذا القبيل

بالمناسبة، كان رئيس كلية ويتون، ج .أوليفر بوسويل، الذي تولى الرئاسة في ثلاثينيات أو أوائل أربعينيات .القرن العشرين، واقعيًا اسكتلنديًا بامتياز .كان من طراز تشارلز هودج إلى حد كبير .بكل تأكيد

لذا كان هذا التأثير واضحًا جدًا هنا في ويتون .في الواقع، عندما كنت طالبًا جامعيًا هنا، درستُ على يد رجل كان تلميذًا لأوليفر بوسويل بعد أن غادر بوسويل الجامعة، وكان يُدرّس في الندوة .لذلك، كانت بدايتي في علم .الدفاع عن العقيدة في الجامعة من النوع الواقعي الاسكتلندي

لقد ابتعدتُ كثيرًا عن الموضوع .أليس كذلك؟ هذا مجرد شيء، بالنظر إلى ما كان يسأل عنه بخصوص ما قاله هيوم، أعتقد أنه أقرب إلى الحجة الكونية لوجود الله .بدا لي، حسنًا، في هذا الحوار القصير الذي دار بينه وبين صديقه، قال هيوم إن صديقه استعرض هذا الخطاب وشرح كيف لا يمكننا حقًا استنتاج وجود الله .أو أي شيء من هذا القبيل من عالمنا

فقال هيوم :آه ، ولكن لم لا ؟ لأنك ترى منزلاً نصف مبني، يمكنك أن تفترض أن هناك بنّاءً ذكياً وأنه سيُكمله، وما إلى ذلك .فأجابه صديقه :أجل، ولكن السبب في عدم إمكانية فعل ذلك مع الله هو أننا نتعامل .هنا مع وسيلتين مختلفتين .فنحن ننقل معرفتنا الدنيوية إلى شيء لا نعرف عنه شيئاً

ليس لدينا أي انطباعات تربطنا بالله .ولذا، من هذا المنطلق، يبدو أن هيوم، من خلال إعطائه إجابة ذلك الصديق، سواء أكانت إجابته أم لا، لا أعلم، قد قال إنه لا يمكن استنتاج أي تفاصيل عن الله .لكن إجابة

هيوم على رد صديقه الأخير كانت :مع أنك قد لا تكون متفوقًا علينا ، فلا يمكنك استنتاج التفاصيل بهذه ،الطريقة، ولكن لأن هذا خلق فريد، أو بناء فريد، أو أيًا كان، فهذا شيء لم نره من قبل وليس لدينا تفسير له .ويمكننا على الأقل استنتاج وجود خالق فريد ومميز

أجل، كما ترى الآن، هذا النوع من التكهنات العقلانية هو ما يجعل الاعتقاد معقولاً .لكنه لن يكون له الأثر .النفسي الذي يُحفز الاعتقاد بشكل طبيعي .لذا تجد أنه بدمج الاثنين، ينتقل من العقلاني إلى النفسي

وعندما تُطرح جميع الخيارات، يبدو أنه يعود دائمًا إلى الأساس النفسي .حسنًا، لننتقل إلى أخلاقياته، أليس كذلك؟ وهنا، العملان الرئيسيان اللذان يجب أخذهما في الاعتبار هما، بالطبع، كتاب "رسالة في الطبيعة .البشرية"، وهو عمله المبكر عندما كان في العشرينات من عمره

الكتاب الثالث .أعتقد أنني قلت هنا الجزء الثالث، أعتقد أنه يسميه الكتاب الثالث .الكتاب الثالث من ذلك .الكتاب يتناول الأخلاق

ثم، في أواخر حياته، ألّف كتابًا أقصر ، أقرب إلى أسلوب البحث في الفهم الإنساني .كتاب أقصر وأسهل، رأى .أنه ضروريٌّ نظرًا لسوء الفهم الذي نشأ حول كتابه السابق :بحث في مبادئ الأخلاق

،بحثٌ في مبادئ الأخلاق .الآن، يبدو لي أن الاثنين يقولان الشيء نفسه إلى حد كبير .ربما بتأكيدات مختلفة .لكنهما متطابقان إلى حد كبير

دعوني أبدأ بالإشارة إلى أن القضية الأساسية نفسها المتعلقة بالعلاقة بين العقل والشعور تبرز في الأخلاق كما في الدين وفي كل مجال آخر من مجالات فكر هيوم .في الواقع، هذه هي الطريقة التي طرح بها الموضوع في .كتابه "بحث في مبادئ الأخلاق ."هل الأخلاق مبنية على العقل أم على الشعور؟ هذا هو السؤال

لفهم ما يقصده، لا بد من ملاحظتين .أولاً، عندما يستخدم مصطلحات مثل "الشعور "أو "العاطفة "أو .العاطفة"، أو عندما يقول إن لدينا نوعًا من الحس الأخلاقي، فإنه يشير إلى الانطباعات المرتبطة بالتأمل" وكما تتذكرون نظريته عن الانطباعات، فإن جميع الأفكار تنشأ في الواقع كنسخ أو نتاج تخيلي مستوحى من .الانطباعات الأصلية، أي الانطباعات الحسية

لذا، فإن هذه الأفكار، سواء أكانت نسخًا أم نتاجًا للذاكرة، أو ربما للخيال، تُعرف من خلال التأمل في حالاتنا الذهنية .وبالتالي، قد أكون أتأمل بشكل غير مباشر في انطباعاتي .وهذه الأفكار نفسها تترك انطباعات، تُولد .بدورها أفكارًا أخرى

أتذكر تلك القصة؟ حسناً .إذن عندما يقول إنه سيناقش العقل أو الشعور، العاطفة، الإحساس، الحس .الأخلاقي، وأن هذا يتعلق بانطباعات التأمل، فإن ما يتحدث عنه هو هذه الانطباعات

نعم سيدي؟ إنها انطباعات عن الأفكار التي دارت في أذهاننا فيما يتعلق بتجاربنا .من الواضح إذن أنه سيقدم تفسيراً تجريبياً لأصل المعتقدات الأخلاقية، إذا ما سلك هذا المسار .فالمشاعر الأخلاقية هي انطباعات عن .تأملات، ناتجة عن انطباعات حسية سابقة وأفكار عما يحدث أو قد يحدث

قد تكون المشاعر هادئة، أو عنيفة .وقد فصّل هذا التمييز في الكتاب الثاني من الرسالة، الذي يتناول .العواطف بشكل كامل .فالعواطف قد تكون هادئة، أو عنيفة، ولذلك نشعر بالهدوء تجاه الجمال

.لكن من جهة أخرى، هناك مشاعر عنيفة، وعواطف جامحة، كالحب والكراهية، والكبرياء والغيرة .عنيفة ليس بمعنى أنها تؤذي أحداً بالضرورة، بل بمعنى أنها قوية، جارفة، وليست الرضا الهادئ والثابت الذي يمنحه .الجمال

قد تكون الانطباعات العنيفة رد فعل مباشر على أفكار وانطباعات تحدث، مثل تجارب اللذة والألم التي نمر بها، والتي تثير مشاعرنا .أو قد تكون ردود فعل غير مباشرة، أي ردود فعل غير مباشرة على تجربة ما، ممزوجة .بمشاعر أخرى معينة

شعور بالفخر يمتزج بتجربة ما قيل عنك للتو .وبالتالي، فإن الشعور الناتج عن ذلك هو أحد تلك المشاعر غير المباشرة، لأنه ممزوج بشيء آخر .إذن، ما يفعله عند طرحه هذا السؤال حول ما إذا كانت الأخلاق مبنية . على العقل أم على العاطفة، هو الاستناد إلى نظريته عن الانطباعات

.العواطف والمشاعر والأحاسيس، كلها انطباعات .انطباعات .أو إن شئت، انطباعات من الدرجة الثانية

.أولاً، يجب وضع الأمر في سياقه .السياق في تفكيره الخاص .ثانياً، السياق التاريخي

السياق التاريخي .لأن السؤال، ما إذا كانت الأخلاق مبنية على العقل أم على العاطفة، كان القضية الشائكة في .نقاش الأخلاق في عصره .كانت تلك هي القضية الشائكة

بطبيعة الحال، كان التيار السائد في عصر التنوير يميل إلى القول بأن الأخلاق تقوم على العقل .وقد قال جون لوك إن المعرفة الأخلاقية هي معرفة استدلالية، تمامًا كالرياضيات .نعم، المعرفة تتعلق بتوافق الأفكار .واختلافها

إذاً، إذا كان لديك مفهوم الحق في الملكية، الذي يعتبره لوك حقاً طبيعياً، وليس مفهوماً اصطناعياً، وإذا كان لديك مفهوم السرقة، فبمجرد مقارنة هذين المفهومين، ستجد اختلافاً بينهما، وستعلم أن السرقة بالتالي انتهاك للحق في الملكية .وهكذا، فإن المعرفة الأخلاقية هي ببساطة معرفة العلاقات بين الأفكار، أي المعرفة .الاستدلالية

بحسب جون لوك .أما هيوم فيختلف معه اختلافاً جذرياً، وذلك لأنه لا يعتقد أن لأي كائن حي في حالة الطبيعة، كما يُطلق عليها، حقاً في الملكية .فهو يرى، كما يرى لوك، أن الحق في الملكية يسبق وجود أي .مجتمع مدني

.نعم، لأنه يتبنى أخلاقيات القانون الطبيعي .لكن هيوم يخالفه الرأي، فهو يرفض أخلاقيات القانون الطبيعي

يقول إن فكرة حالة الطبيعة مجرد خرافة، خيال .فهي ليست موجودة تاريخيًا فحسب، بل لا يمكن حتى تخيلها بالطريقة التي يتحدث عنها لوك، فهي تنطوي على تناقض منطقي، كما هو الحال في مفهوم حق الملكية، حيث أن الملكية نتاج للمجتمع المنظم، وليس أي شيء آخر .لذا، من جهة، هناك من يقول إن .الأخلاق مبنية على العقل، مثل جون لوك

،وهناك أيضاً بعض فلاسفة الحس الأخلاقي المعاصرين الذين سنتناولهم الأسبوع المقبل، مثل جوزيف بتلر الذي جادل بأن أحكامنا الأخلاقية، عندما نقول بضميرنا إن هذا خطأ، هي إدراك مباشر للخطأ، لكن بتلر وغيره ،من أتباع هذا التيار يرون أن هذا حكم عقلاني .أما توماس ريد، الذي ذكرته سابقاً، فهو الواقعي الاسكتلندي .ويؤكد أن لدينا إدراكاً مباشراً للخطأ، وأننا نصدر حكماً عقلانياً، وهو ما يعارضه في هذا الرأي ضد ديفيد هيوم

لذا، هناك من يزعم أن المعرفة الأخلاقية هي معرفة عقلانية، وأن الأحكام الأخلاقية هي أحكام عقلانية، وأن أساس الأخلاق يكمن في العقل، وبشكل أساسي، في القانون الطبيعي .في المقابل، هناك من بين فلاسفة الحس الأخلاقي، مثل إيرل شافتسبري الشهير، الذي كان راعيًا للوك، وفرانسيس هاتشيسون، الذي كان له تأثير كبير في الفلسفة الأمريكية المبكرة، من يرون أن الضمير، أي حسنا الأخلاقي، أقرب إلى الشعور الجمالي منه إلى الرياضيات أو الاستدلال المنطقي .إنه أقرب إلى الذوق الأخلاقي منه إلى إصدار الأحكام العقلانية.

لا يمكنك الجدال حول صواب أو خطأ شيء ما، تمامًا كما لا يمكنك الجدال حول جمال مقطوعة موسيقية معينة مع شخص لا يملك ذوقًا موسيقيًا متطورًا .العاطفة، الشعور، الذوق .وهناك مواضع يستخدم فيها هيوم كلمة "ذوق".

كذلك .ولذلك، ليس من المستغرب أن يحاول من يستجيبون لهذا التركيز على الشعور أن يجادلوا بأن الحكم الجمالي هو أيضاً حكم عقلاني، وليس مجرد حكم أخلاقي .بل هو حكم جمالي أيضاً.

لذا، توجد حقيقة موضوعية ما فيما يتعلق بالقيم الجمالية، وشيء موضوعي فيما يتعلق بالقيم الأخلاقية .أما بالنسبة لهيوم، فكل هذه الأمور ذاتية.

وكما يشير نقاد هيوم، مثل توماس ريد، فإن ما حدث تاريخيًا هو شيء من هذا القبيل .بمجرد ظهور نظرية المُثُل، أصبحت الصفات الأولية ذاتية .سأتراجع عن كلامي.

أصبحت الصفات الثانوية ذاتية .ثم، مع بيركلي، لم تصبح الصفات الثانوية فحسب، بل الصفات الأساسية أيضاً ذاتية .ومع الصفات الثانوية الذاتية، أصبح اللون والصوت والجمال أموراً ذاتية.

ومع ديفيد هيوم، لم يعد الإيمان مسألة حكم عقلاني، بل أصبح أمرًا ذاتيًا، مسألة شعور .ولم يبقَ إلا أن يكون الإيمان الأخلاقي ذاتيًا أيضًا .لذا يُعزى ذلك إلى تأثير نظرية المُثُل ، التي أضفت طابعًا ذاتيًا على ما كان يُعتبر موضوعيًا في السابق.

يرى الواقعيون الاسكتلنديون أن الصفات الأولية والثانوية موضوعية ، وأن القيم الجمالية والأخلاقية موضوعية أيضاً ، وأن هذا الاعتقاد حدس عقلاني وليس مجرد استجابة نفسية.

إذن، المسألة محددة جيداً على هذا النحو .ويحاول هيوم صياغة وجهة نظره .وهيوم رجل معتدل.

يرفض فكرة أن العقل هو أساس الأخلاق .ويرفض فكرة أن العاطفة أو الشعور وحدهما هما أساس الأخلاق. أجل، وكما كان الحال مع الأمور الغامضة والعملية، والمنطقية والنفسية، فهو كالطفل الصغير الذي عُرض عليه نوعان من الفطيرة، أيّهما تفضل؟ قليل من كليهما، إن شئت.

إنه يريد الجمع بين الاثنين .لقد حاول تطبيق ذلك في الدين، فهل يستطيع تطبيقه في الأخلاق؟ هذا ما يحاول فعله.

حسنًا .إذا كان للعقل دور في العلاقة بالأخلاق عند هيوم، فما هو هذا الدور؟ تذكر أن العقل عند هيوم لا يُنتج إلا نوعين من الأحكام :أحكام تتعلق بعلاقات الأفكار، وأحكام تتعلق بالوقائع.

إذن، السؤال حول دور العقل هو :ما المعرفة التي نمتلكها فيما يتعلق بالأخلاق، وعلاقات الأفكار، والحقائق؟ يبدو الأمر بسيطًا .حسنًا، علاقات الأفكار، نعم، تعريفات المصطلحات الأخلاقية .تعريفات المصطلحات الأخلاقية.

بمعنى آخر، إذا قلنا إن العدالة كذا وكذا، فإن التعريف هو علاقة بين أفكار، ويتفق الموضوع والمسند في التعريف .لذا يمكننا تعريف المصطلحات الأخلاقية .يمكننا، على سبيل المثال، الحديث عن العلاقة بين .المفاهيم الأخلاقية المختلفة

العلاقة، على سبيل المثال، بين الإحسان والمصلحة الذاتية .لماذا؟ لا يتفقان تمامًا، أليس كذلك؟ المعرفة .مرتبطة بالاتفاق والاختلاف .حسنًا، هذا أحد الأشياء التي يمكن للعقل أن يفعلها

أما الأمر الثاني فيتعلق بالوقائع .فالعقل قادر على وصف الظروف التي يتعين علينا التصرف في ظلها، وتزويدنا بمعرفة واقعية عن المواقف التي نواجهها، وفهم واقعي للعواقب المحتملة لأفعالنا .لذا، يُسهم العقل بهذه .الطرق

.لاحظ الآن العبارة الأخيرة، "نتائج الأفعال"، لأن إحدى الروابط الرئيسية بين العقل والشعور ستكون المنفعة .إنه نفعي ما قبل النفعية، على الأقل إذا اعتبرنا بداية النفعية مع بنثام وميل

هذا الكلام من ديفيد هيوم ؛ فهم يفهمون الفكرة جيداً .إذن، ما الذي يعجز عنه العقل؟ لا يستطيع العقل تبرير اللجوء إلى العواقب والمنفعة، كلا .لكنه قد يفعل ذلك من باب الحكمة، قد يخبرك أنه من الحكمة فعل .ذلك

لكن لماذا تريد أن تكون حذراً؟ لا يمكن لهذا أن يبرر الاستناد إلى المنفعة .ولا يمكنه أن يحفزك على فعل . شيء ما .ولا يمكنه أن يوافق على فعل ما أو يرفضه

يمكن أن يقتصر الأمر على وصف العواقب .الآن، إذا لم يستطع العقل الموافقة على فعل ما أو رفضه، فلا .يمكنك إصدار أحكام أخلاقية .الأحكام الأخلاقية هي التي تُقرّ أو ترفض

إذن، لا يستطيع العقل إصدار أحكام أخلاقية .وبما أن ردود الفعل الشعورية ليست أحكامًا، فإن المشاعر ليست صحيحة أو خاطئة، بل هي مجرد قضايا، والأحكام هي الصحيحة أو الخاطئة .وبما أن المشاعر ليست .صحيحة أو خاطئة، فإن المشاعر لا تصدر أحكامًا أخلاقية .لا توجد أحكام أخلاقية

أترى ؟ هناك مشاعر أخلاقية، وأحاسيس أخلاقية، تُفضي إلى عبارات نفعية .حسنًا، ماذا عن العاطفة؟ ما .دورها؟ قلتُ إنّ القاسم المشترك هو المنفعة .ويمكنك أن ترى كيف يرتبط العقل بالمنفعة

كيف يرتبط الشعور بالمنفعة؟ حسنًا، كما ترى، المنفعة هي النتائج التي تصب في مصلحة الجميع، يقوم هذا .المفهوم على الشعور بالإحسان .والإحسان هو تمني الخير للآخرين ورغبتهم فيه .إنه شعور بالإحسان

الإحسان هو فعل الخير، والرغبة في الخير هي التوق إليه .ولكن لماذا نميل إلى هذا الحد في مشاعرنا تجاه .الآخرين؟ قال هوبز :لسنا كذلك، بل نحن جميعًا كالوحوش الضارية .ويجادل هيوم ضد الأنانية

اتُهم هوبز بالأنانية المتطرفة، وفي زمن هيوم، كان مصطلح "الهوبزية "يُستخدم كصفة ازدراء، لوجهة نظر، لا .أعتقد أن هوبز تبناها، مفادها أنه لا يوجد ذرة من الود أو أي شيء آخر في الإنسان .هذا طبيعي، كما ترى .حسناً، هيوم يُعارض ذلك

هو يجادل بأن هناك نزعة فطرية للخير في جميع البشر، ونزعة فطرية للإيثار في جميع البشر .لكن بدرجات .متفاوتة، فهو لا يحدد مقدارها

.يتفاوت الأمر بشكل كبير في درجته .لكن هناك بعض الخير الفطري .ليس موجوداً هناك، بل هو أمر طبيعي

كيف يتطور هذا الشعور؟ إنه يتعامل مع نوع من علم النفس الأخلاقي النمائي .كما ترى، يتطور هذا الشعور .انطلاقاً من شعور بالتعاطف

ينشأ هذا الشعور من التعاطف .التعاطف، الذي ينطوي، كما أشعر بالتعاطف، إما على السرور لأجلك أو .الألم لأجلك .أوه، أشعر بك، كما نقول

.أشعر بك .كما ترى .لذا، نعم، هناك مصلحة شخصية متضمنة في الألم أو المتعة التي أشعر بها

لكن لماذا أشعر بالتعاطف؟ أشعر بالتعاطف لأن العقل يخبرني بوجود أوجه تشابه واقعية بيني وبينك، بين .تجربتك وتجربتي .وتذكر أحد مبادئ الربط؟ التشابه .التشابه

.لذا، عندما تتشابه تجربتك مع تجربتي، فإن الأفكار المعقدة التي تتبلور في ذهني تشملنا نحن الاثنين .أجل .ولأنها تشملنا نحن الاثنين، أشعر ليس فقط تجاه نفسي بل تجاهك أنت أيضاً

.وهناك نزعة فطرية للخير في جميع البشر .كما ترى .حسنًا، هذا هو جوهر موقفه

. هناك طريقتان لوصف هذه النظرية .فهي تُصنف على أنها ذاتية أخلاقية، وهي أيضاً طبيعية أخلاقية

والآن، دعوني أشرح المصطلحات الشائعة حتى يومنا هذا في النظرية الأخلاقية .الذاتية الأخلاقية هي الرأي القائل بأنه لا توجد صفات أخلاقية موضوعية .أي أنه لا توجد حقائق موضوعية من نوع أخلاقي حول .الحالات الموضوعية للأمور

لكن عندما أقول إن شيئًا ما خاطئ، أو أنه جيد، فأنا أتحدث عن مشاعري وأحاسيسي الشخصية .لذا، كما . ترى، في هذه الحالة، نحن لا نملك أي دافع للخير .أشعر بك

وأقول إنه لأمر مؤسف ما مررتِ به .ما أقصده حقًا هو أنني أشعر بالألم عندما أفكر فيما تمرّين به .لا أقول . إن ما تمرّين به خطأ

أقول إن الأمر مؤلم لك، ومؤلم لي أيضاً .لذا، فإن الخطأ والصواب مرتبطان بالمشاعر الذاتية لمن يختبرونه .ويتحدثون عنه .وهذا ينطبق أيضاً على المذهب الطبيعي الأخلاقي، لكن لا تساوي بينهما

الذاتية ليست سوى نوع واحد من أنواع المذهب الطبيعي، وهي ذاتي .وهناك أنواع موضوعية من المذهب .الطبيعي .والمذهب الطبيعي الأخلاقي هو الرأي القائل بأن الأخلاق متأصلة في الطبيعة

الأخلاق متأصلة في الطبيعة .ولأنها متأصلة في طبيعة نفسيتنا العاطفية، كما ترى، فإن هيوم عالم طبيعة .أخلاقي .وهو يتحدث عن قوانين الطبيعة

إنها ليست قوانين طبيعية بالمعنى الميتافيزيقي، كما عند أرسطو، أو فطرية، كما عند الأفلاطونيين .وليست قوانين طبيعية بمعنى أنها موجودة بالفعل عند مجيئنا إلى العالم .بل هو واضح تمامًا في أن هذه القوانين .الطبيعية هي من صنع الإنسان

لكنها قوانين طبيعية بمعنى أنها تنشأ بشكل طبيعي في سياق الطبيعة، وذلك بسبب طبيعة نمونا النفسي وعلاقتنا بالآخرين .لذا، فهو يتبنى أخلاقيات قائمة على علم النفس التنموي الطبيعي .

إن طبيعة النمو النفسي والعاطفي هي التي تُنشئ الأخلاق .وهو يُسارع إلى القول بأن هذه العملية التطورية واحدةٌ بين جميع البشر، وذلك بسبب الطريقة التي خلقنا الله عليها.

أما إن كان يستخدم كلمة "الله "من باب المزاح، أم لأنه يؤمن بها حقًا، فهذا موضوع آخر .لكنه على الأقل يقول إنه إذا كان هناك أساس إلهي في تفكيرك، فلا بأس .أما الأساس المباشر فهو عالمية العملية النفسية.

إذن فهو ليس من أنصار النسبية الأخلاقية .فهو يرى قوانين الطبيعة على أنها ثلاثة .أحدها يتعلق بالملكية، واستقرار الحيازة.

أحدها يتعلق بنقل الملكية بالتراضي .والآخر يتعلق بالوفاء بالوعود .وهكذا يقول إن هذه هي الطريقة التي تتطور بها قوانين العدالة.

بل إنه يتحدث عن قوانين الأمم .ما هو المصطلح المستخدم في نظرية القانون الطبيعي منذ عهد الرومان وتوما الأكويني؟ قوانين الأمم هي القوانين السارية في جميع الأمم.

حسناً، ينطبق الأمر نفسه على هذه النقاط الثلاث التي ذكرها .فبدون ضمان الملكية، ستكون هناك حرب دائمة بين الجميع .وبدون نقل الملكية بالتراضي، لن يكون هناك تجارة.

وبدون الوفاء بالوعود، لن تكون هناك تحالفات أو معاهدات .لذا، فهذه قوانين تُطبّق من أجل المصلحة العامة بين الدول، وكذلك بين الأفراد.

لكن قوانين الطبيعة هذه ليست سوى أمور نفعية .العدالة مفهوم نفعي أيضاً .العدالة ببساطة هي منفعة إعطاء كل ذي حق حقه.

حسناً، هذه هي أخلاقيات هيوم .شكراً لك.